

في قلبه وآثر لدى نفسه من جميع ما سواهما»^(١) قال تعالى: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾^(٢).

بل إن الوالدين اللذين أوصى الله - تعالى - بهما، وجعل طاعتهما من طاعته سبحانه، ونهى عن مجرد التأفف في حضرتهما، لو خيّر الولد بين طاعتهما ومعصية الله تعالى؛ وجب عليه الاعتصام بخلق الشجاعة الأدبية ولا يطعهما؛ إذ لا طاع لمخلوق في معصية الخالق؛ بيد أن ذلك لا يمنعه من حسن صحبتتهما، والإحسان إليهما؛ قال سبحانه: ﴿وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾^(٣).

٥- حث القرآن على الإنصاف والشهادة بالحق ولو لعدو على حساب النفس والمال والأهل والولد:

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَى بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَى أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلُوتُوا أَوْ تَعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾^(٤) فقد أمرت الآية بإقسط الشهادة والعدل فيها دون مراعاة قريب أو بعيد، غني أو فقير، فلا تجز في شهادتك لمسكنة فقير قد يفقد شيئاً بسبب شهادتك عليه، أو لأجل

(١) إبراهيم خليفة، مرجع سابق، ص ٩٤.

(٢) سورة المجادلة: آية ٢٢.

(٣) سورة لقمان: الآيتان ١٥، ١٤.

(٤) سورة النساء: آية ١٣٥.

قريب قد يعتب عليك، أو غني يُطمع في غناه، أو ظالم يخشى ظلمه، أو عدو تجلب شهادتك بالقسط له نفعاً، أو تدفع عنه ضرراً؛ فاعتصم بحبل الشجاعة الأدبية، ولا تقم اعتباراً لشيء من ذلك كله، وقل الحق، واشهد بالعدل كائنًا ما كان.

ثم لنسمع نداء الحق لنبيه (ﷺ) في شأن اليهود الذين هم أشد الناس عداوة للمؤمنين^(١)؛ ففي شأن هؤلاء الأعداء يقول الله تعالى لنبيه (ﷺ) إن اضطر أولئك الأعداء الألداء للاحتكام إليك؛ فاعدل فيهم واحكم بينهم بالقسط: ﴿وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾^(٢).

وفي شأن أصحاب العداوات بصفة عامة يقول ربنا (ﷺ): ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَا نُ قَوْمٍ عَلَىٰ آلَا تَعْدِلُوا﴾^(٣).

يعني: لا يحملنكم البغض الشديد لقوم على ترك العدل معهم، بل اعطوهم حقوقهم، ومكنوهم مما يستحقون؛ فالعدل واجب على كل أحد، مع كل أحد، في كل حال^(٤). ولا يخف ما يتطلبه ذلك من مخالفة الهوى الذي لن يقو عليه إلا من اعتصم بحبل الشجاعة الأدبية وتمسك بأسبابها من الصبر والإيمان بالله (ﷻ). وفي مقابل ذلك التحفيز المباشر على التحلي بالشجاعة الأدبية نجد القرآن الكريم قد رهب أوليائه من ضدها المشين لصاحبه أعني الجبن الأدبي؛ حين

(١) قال تعالى: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾، المائدة: آية

(٢) سورة المائدة: آية ٤٢.

(٣) سورة المائدة: آية ٨.

(٤) البغوي، مرجع سابق، ١٢٧/٣، أبو زهرة، مرجع سابق، ٢٠٥٩/٤.

عده القرآن الكريم مرضاً اجتماعياً خطيراً، وتتوعد صور التهريب منه في آياته الكريمة:

فتارة ذم القرآن الضعف والركون إليه: فقال سبحانه في شأن قوم كانوا قد أسلموا بمكة واستخفوا بإسلامهم، فلما هاجر رسول الله (ﷺ) كرهوا أن يهاجروا وخافوا؛ فأخرجهم المشركون يوم بدر معهم؛ فأصيب بعضهم؛ فقال المسلمون: كان أصحابنا هؤلاء مسلمين وأكبروا، فاستغفروا لهم؛ ففيهم نزل قول الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا...﴾^(١). فهؤلاء ظلموا أنفسهم بضعفهم وتركهم الهجرة عن مكان لا يمكنهم فيه إظهار دينهم مع القدرة عليها وبموافقة الكفار؛ فبكتهم الملائكة المتوفين لهم ووبختهم بأنهم لم يكونوا في شيء من الدين حيث قدروا على الهجرة ولم يهاجروا، قائلين لهم ﴿فِيمَ كُنْتُمْ﴾ أي: في أي شيء كنتم من أمور دينكم؛ فاعتذروا مما وبخوا به، وتعللوا بالاستضعاف، وأنهم لم يتمكنوا من الهجرة حتى يكونوا في شيء من الدين، قائلين: ﴿كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ﴾ أي: في أرض الأعداء؛ فبكتهم الملائكة ثانية قائلين لهم: ﴿أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا﴾ يعني: أنكم كنتم قادرين على الخروج إلى بعض البلاد التي لا تمنعون فيها من إظهار دينكم، ومن الهجرة إلى رسول الله (ﷺ) كما فعل المهاجرون إلى أرض الحبشة^(٢).

وتارة ثانية ذم الجبن، ونهى عنه: وتوعد الجبناء الفارين عن القتال - لا لتقوية إخوانهم، ولا لتنظيم أنفسهم وإعادة الكر على المشركين ثانية - بالعذاب

(١) سورة النساء: الآيات ٩٧-٩٩، وينظر: ابن كثير، مرجع سابق، ٤٠/٢، القاسمي، مرجع

سابق، ١٤٨٧/٥.

(٢) القاسمي، مرجع سابق، ١٤٨٧/٥ "بتصرف وتلخيص".

الأليم يوم القيامة؛ فقال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحَفًا فَلَا تُولُوهُمْ الْأَدْبَارَ وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَى فِتْنَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾^(١).

وفي طائفة ثالثة من الآيات بيّن أن الجبن والفرار عن القتال من أخص صفات المنافقين: الذين وصفهم بتلك الصفة المشينة في عدة مواضع من كتابه الكريم؛ منها:

قوله سبحانه: ﴿وَيَخْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنْكُمْ وَمَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرُقُونَ لَوْ يَجِدُونَ مَلَجًا أَوْ مَغَارَاتٍ أَوْ مُدْخَلًا لَوَلَّوْا إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ﴾^(٢)؛ فهذه الآية تعري المنافقين وتبين ما هم عليه من الجبن والهلع وخوف الدوائر الحامل لهم على الجبن، وعدم القدرة على المواجهة، وإظهار حقيقة أنفسهم للمسلمين؛ فهم ليست عندهم شجاعة الكافر ولا إيمان المؤمن، كما أنهم لشدة جبنهم إذا حضر القتال تجدهم يبحثون عن أي شيء يحتمون به، من ملجأ يتحصنون فيه، أو مغارة في جبل يأوون إليها، أو مدخلا ضيقا في الأرض يستترون به، ولو وجدوا شيئا من ذلك لأسرعوا إليه الخطا هربا من القتال وخذلا للمسلمين^(٣).

وغيرها من الآيات الكريمة التي تعري المنافقين وتفضح ما جبلت عليه نفوسهم من الجبن والخوف^(٤).

(١) سورة الأنفال: آية ١٦.

(٢) سورة التوبة: الآيات ٥٦-٥٧.

(٣) وينظر: الماوردي، النكت والعيون، ٣٧٢/٢، السعدي، مرجع سابق، ٦٦٠/٣.

(٤) قارن على سبيل المثال: سورة آل عمران: آية ٧٨. سورة الأحزاب: الآيات: ١٣، ١٦،

١٩، سورة الحشر: الآيات، ١٣، ١٤، سورة المنافقون: آية ٤.

وأشارت طائفة رابعة من الآيات إلى خطر سلاح الرعب، وأنه آية من آيات الله لنصر أوليائه، وأنه سبب رئيس للهزيمة النفسية؛ ومن ثم الهزيمة الحربية غالباً:

منها قوله سبحانه: ﴿سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَبِئْسَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ﴾^(١).

فهذه الآية توضح نوعاً من ولاية الله تعالى ونصره لعباده المؤمنين المذكور قبلها في قوله تعالى: ﴿بَلِ اللَّهِ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ﴾^(٢) وأن من نصره سبحانه لهم إلقاء الرعب في قلوب أعدائهم، أي يملؤها خوفاً وفزعاً؛ فيمتنعون بسبب رعبهم عن كثير من مقاصدهم، مما يوجب استيلاء المسلمين عليهم^(٣).

«وأكثر المفسرين على أن هذا الوعد مختص بيوم أُحُد»^(٤)، والذي تميل إليه نفس الباحث: أن هذا الوعد عامٌ غير خاص بيوم أُحُد؛ لاسيما بعد ذكر السبب الموجب لإلقاء الرعب في قلوبهم في قوله سبحانه: ﴿بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا﴾ يعني: أن اتخاذهم الأنداد من دون الله تعالى، وانقطاعهم عن ولاية الرحمن سبحانه، جعلهم لا يأوون إلى ركن وثيق، يلجأون إليه عند كل شدة وضيق؛ فكان ذلك سبباً رئيساً لرعبهم من المؤمنين^(٥).

(١) سورة آل عمران: آية ١٥١، ونحوها من الآيات الكريمة التي تؤكد هذا المعنى، قارن على سبيل المثال: سورة الأنفال: آية ١٢. سورة الأحزاب: آية ٢٦، سورة الحشر: آية: ٢.

(٢) السعدي، مرجع سابق، ٢٥٠/٢.

(٣) سورة آل عمران: آية ١٥٠.

(٤) الرازي، مفاتيح الغيب، ٢٧/٤.

(٥) وينظر: الرازي، مرجع سابق، ٢٧/٤، السعدي، مرجع سابق، ٢٥٠/٢.

ولخطر الجبن وأثره في الهزيمة النفسية والجسدية: أخبر الله تعالى المؤمنين في آية أخرى أنه من الخير لهم تخلف أولئك المنافقين الجبناء عنهم؛ وأن الله تعالى قد خذلهم وثبطهم عن الخروج معهم لحكمة، لأن خروج أولئك الجبناء مع المسلمين؛ سيتسبب في إيقاع الفساد والأراجيف ونشر بذور الفتنة بينهم؛ ليفرقوا كلمتهم؛ فقد ظهر من أحوالهم أن أعذارهم في التخلف عن الخروج دائماً باطلة كاذبة، وأنهم ما أرادوا الخروج بالكلية؛ لأنهم لو أرادوا الخروج لاستعدوا له وأخذوا بأسبابه، فلما لم يعدوا له عدة، علم أنهم ما أرادوا الخروج أصلاً؛ فلم يعنهم على الخروج؛ بل خذلهم وثبطهم؛ فإذا وُجد من ضعفاء العقول من المسلمين من يستجيب لدعوتهم ويغتر بكلامهم، يكون عدم خروجهم معكم أنفع وأصلح؛ فكان من تمام حكمته سبحانه أن ثبط أولئك المنافقين الجبناء ومنعهم من الخروج مع عباده المؤمنين رحمة ولطفا بهم^(١)، وفي ذلك يقول سبحانه: ﴿وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ (٤٦) لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾^(٢).

وحسب الجبان من جناية الجبن عليه في دنياه: أنه يهين نفسه؛ ويستجدي غيره، ويرضى بكل ضيم؛ ويسمع كل قبيح في حقه من شتم وقذف، فلا يصون عرضاً ولا يحفظ مالاً، فيفتضح في نفسه أو أهله أو ماله، فضلاً عن أنه يطمع فيه غيره.

وأما جناية الجبن عليه في دينه: فحسبه من ذلك شكُّه في «الْقَدَر» الواجب الإيمان به؛ إذ لا يجتمع الإيمان بالقدر والجبن في قلب واحد؛ فمن أيقن أن ما

(١) السعدي، مرجع سابق، ٦٥٨/٣.

(٢) سورة التوبة: آية ٤٦، ٤٧.

أخطأه لم يكن ليصيبه، وأن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وأن الأمة لو اجتمعوا على أن يضروه بشيء لن يضروه إلا بشيء قد كتبه الله عليه، ولو اجتمعوا على أن ينفعوه بشيء لن ينفعوه إلا بشيء قد كتبه له، قوي قلبه، واشتد بأسه، وبدت شجاعته.

تتمة: هل يتنافى ترغيب القرآن في الشجاعة مع قوله تعالى: ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾^(١)؟

ليس ثمة منافاة بين الآيات المرغبة في الشجاعة والمُحذرة من ضدها وبين قوله تعالى: ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ لأن النهي في الآية عن مجرد الجرأة والإقدام دون حساب العواقب؛ فذلك هو عين التهور المنهي عنه هنا، أما الثبات والإقدام مع سكون النفس واستقرارها وعدم الجبن أو الفرار مع تدبر عاقبة الأمر؛ فذلك هو الحدّ الوسط بين «التهور» و«الجبن» وهو عين الشجاعة المأمور بها في الآيات الكريمة التي مرت بنا في ثنايا هذا البحث؛ فالشجاع لا يجبن جبناً تحول معه المخاطر المتوقعة التي يعرفها ويقدر قدرها بين إقدامه أو ثباته، ولا يتهور تهوراً يلقي به نفسه للهلكة حين لم يحسب عواقبها؛ فكمال زينة الشجاعة إذاً أن توافق الحكمة؛ فإن لم تكن كذلك كانت تهوراً وسفهاً، وإلقاء باليد إلى التهلكة، فتندم كما يذم الجبن؛ فالشجاعة المحموده هي التي تكون وسطاً بين الجن والتهور، وتكون محمودة إذا كان المقصود بها نصر الحق، ودفع الباطل^(٢).

(١) سورة البقرة: آية ١٩٥.

(٢) الراغب الأصفهاني، الذريعة إلى مكارم الشريعة، ٣٢٨ ص، بتصرف، السعدي، الرياض

الناصرة، ص ٥٤-٦٠ (بتصرف وتلخيص شديدين).

وأما التربية على الشجاعة الأدبية بالأسلوب غير المباشر: أعني عن طريق القصص الحافل بنماذج مثالية لها ليستلهم منها القارئ العظة والعبرة ويتخذها مثلاً وقُدوة؛ فهذا موضوع حديثنا في المبحث التالي بمشيئة الله تعالى:



المبحث الثاني

من صور الشجاعة الأدبية في القصص القرآني

المطلب الأول

الشجاعة الأدبية في الجهر بالحق

إن من يستقرئ آيات القرآن الكريم سيقف على عدد من النماذج الرائعة الرائدة في مجال الشجاعة الأدبية، والتي بلغ أصحابها من هذا الخلق الرفيع أسمى منازلهم؛ فاعتصموا به غير ملتفتين لما يمكن أن يحل بهم بسبب شجاعتهم؛ مما يرسم لنا منهجاً واضحاً للتربية غير المباشرة على الشجاعة الأدبية، حيث استحضار واستلهم معاني الشجاعة، والتماس العظة والعبرة من القصة القرآنية، مبتدئين حديثنا في هذا الموضوع بشجاعة الأنبياء والمرسلين، ثم من بعدهم من صالحى المؤمنين الذين جعلهم القرآن مثالا للشجاعة الأدبية.

أولاً: شجاعة أنبياء الله ورسله صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين:

لاشك أن من يطلب أنموذجاً عالياً للشجاعة الأدبية في القرآن الكريم يتخذ هذه قدوة ومثلاً، سيد أنبياء الله ورسله - صلوات ربي وسلامه عليهم أجمعين - قد بلغوا ذروة سنام هذا الخلق الرفيع؛ فاستحقوا أن يكونوا المثل الأعلى للأبطال والشجعان على مر التاريخ والأزمان، وكيف لا يكونوا كذلك وهم المصطفون الأخيار، الأتم إيماناً، والأكمل خلقاً وخلقاً بين البشر، وكيف لا يكونوا كذلك وهم الموصوفون في أصدق كلام أنهم: ﴿يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ﴾^(١)؛ فلا يشعرون بالخوف إلا من خالقهم (ﷻ) ولا يعرف الجبن

(١) سورة الأحزاب: آية ٣٩، وينظر تفسير هذه الآية الكريمة في ص ٢٦ من هذا البحث.

إليهم طريقاً؛ لأنه رذيلة أخلاقية نزهم الله تعالى عنها؛ بل لو عرف الخوف إليهم سبيلاً، لما استطاعوا تبليغ دعوتهم وأداء رسالتهم، والانتصار على أعدائهم الذين ناصبهم العداء قائلين لهم ﴿إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ﴾^(١) فأجابوهم في شجاعة المؤمن الواصل بربه سبحانه: ﴿أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾^(٢). أقول: إن استقرأنا قصص الأنبياء في ضوء القرآن لنقف على الشجاعة الأدبية لكل نبي منهم، سنجد الشجاعة المنقطعة النظير قاسم مشترك بينهم، وحسبنا في هذا المقام - الذي آثرنا فيه الإيجاز بما يفهم المراد - أن نقف مع بعض الآيات الكريمة التي تبرهن على شجاعتهم - صلوات ربي وسلامه عليهم - في جهرهم بالحق كائناً ما كان من ناحية؛ وترسم لنا صورة واضحة لمن يلتبس مثلاً وقودة يقتدي به في الشجاعة الأدبية من ناحية أخرى، مبتدئين الحديث في هذا الموضوع أولاً بـ:

أمير الأنبياء وسيد الأتقياء وأشجع الخلق قاطبة سيدي رسول الله (ﷺ):

نعم: إذا كانت الشجاعة رأس الفضائل الخلقية كلها - كما أسلفنا - وإذا كان أنبياء الله - صلوات ربي وسلامه عليهم - هم دُرَّةُ الخلق وأصحاب السبق فيها؛ فإن أميرهم وسيدهم في ذلك بلا شك هو سيد الخلق (ﷺ)؛ الكامل المكمل خُلُقاً وخُلُقاً، الممدوح في أصدق كلام بمكارم الأخلاق كلها؛ فقال له ربه سبحانه: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾^(٣) أي: خلق رفيع القدر، لا يدرك شأوه أحد من الخلق؛ وكيف يدرك ذلك أحد من الخلق وهو الذي اجتمعت فيه (ﷺ) مكارم الأخلاق

(١) سورة إبراهيم: آية ٩.

(٢) سورة إبراهيم: آية ١٠.

(٣) سورة القلم: آية ٤.

كلها؛ فبلغ بخلقه العظيم أرقى منازل الكمال الخلقى، حتى كأنه قد استعلى على الأخلاق كلها^(١).

وإذا كان الكرم من لوازم الشجاعة- كما أسلفنا- فلاريب أن سيد الخلق وأكرمهم (ﷺ)؛ الذي وصفه أصحابه بأنه كان أجود بالخير من الريح المرسلة^(٢)، والذي قال عنه الأعرابي لقومه «أسلموا فإن محمداً يُعطي عطاء من لا يخشى الفاقة»^(٣).

أقول: إذا كان الكرم من لوازم الشجاعة؛ فإن أكرم الخلق (ﷺ) سيكون أشجع خلق الله على الإطلاق.

وإذا كانت آيات القرآن الكريم لم تذكر لنا شيئاً من صور شجاعته (ﷺ) سوى موقفه في غار ثور مع الصديق (رضي الله عنه) حين خفق قلبُ الصديق (رضي الله عنه) خوفاً على حبيبه (ﷺ)؛ فطمأن النبي (ﷺ) الصديق قائلاً له قوله شجاع واثق بوعد ربه سبحانه، غير ملتفت للمشركين الرابضين حول الغار: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾^(٤) دع الحزن يا أبا بكر؛ فإن الله معنا بنصره وعونه وتأييده وحراسته وحمايته، ومن

(١) القرطبي، مرجع سابق، ٢١١/١٨، الشنقيطي، أضواء البيان، ٢٤٧/٨.

(٢) الحديث بتمامه عند البخاري عن ابن عباس (رضي الله عنهما) قال: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) أَجْوَدَ النَّاسِ، وَكَانَ أَجْوَدَ مَا يَكُونُ فِي رَمَضَانَ حِينَ يَلْقَاهُ جِبْرِيلُ، وَكَانَ يَلْقَاهُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ مِنْ رَمَضَانَ فَيُدَارِسُهُ الْقُرْآنَ، فَلَرَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) أَجْوَدُ بِالْخَيْرِ مِنَ الرِّيحِ الْمُرْسَلَةِ، صحيح البخاري: كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله (ﷺ)، ح ٦.

(٣) الحديث بتمامه عند مسلم من رواية موسى بن أنس عن أبيه قال: «ما سئل رسول الله (ﷺ) على الإسلام شيئاً إلا أعطاه، قال: فجاءه رجل فأعطاه غنماً بين جبلين، فرجع إلى قومه، فقال: يا قوم أسلموا، فإن محمداً يعطي عطاء لا يخشى الفاقة». صحيح مسلم،

كتاب: الفضائل، باب: ما سئل رسول الله (ﷺ) شيئاً قط وقال لا، ح ٢٣١٢.

(٤) سورة التوبة: آية ٤٠.

كان الله معه فلن يُغلب^(١). ولعل هذا هو الموقف الوحيد الذي سجله القرآن الكريم يبرز لنا شجاعة سيد الشجعان (ﷺ) من ناحية، ويؤكد لنا ما أسلفنا من أن الإيمان بالله (ﷻ)، وحسن التوكل عليه سبحانه هو مداد الشجاعة من ناحية أخرى.

نعم: إن ذلك اليقين الأكمل الأتم في قلب أكمل الناس إيماناً (ﷺ)؛ قد أورثه (ﷺ) شجاعة أدبية وجسدية سجلها التاريخ في مواطن كثيرة تمتد من طفولته وصباه إلى وفاته (ﷺ).

أما الأدبية: فلعن من أبرزها - إضافة لما أسلفناه أعلاه - وقوفه (ﷺ) في وجه صناديد قريش على شدة عنادهم، وكثرة عددهم، وقلة أصحابه وناصره؛ فصنع في وجوههم بالحق الذي أمره الله تعالى به في قوله سبحانه: ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾^(٢) غير ملتفت لكثرة عدد ولا عدة؛ فبلغ رسالة ربه ولم يخش إلا الله؛ فصدق فيه قول ربنا (ﷻ): ﴿الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ﴾^(٣).

وأما الجسدية: فحسبه منها ما شهد له به جماعة من الشجعان الذين كانوا إذا حمي الوطيس انتقوا بسيد الشجعان (ﷺ)؛ فعن علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) أنه قال: «لَقَدْ رَأَيْتَنَا يَوْمَ بَدْرٍ، وَتَحْنُ نَلُودُ بِرَسُولِ اللَّهِ (ﷺ) وَهُوَ أَقْرَبُنَا إِلَى الْعَدُوِّ، وَكَانَ مِنْ أَشَدِّ النَّاسِ يَوْمَئِذٍ بَأْسًا»^(٤). وعن أنس (رضي الله عنه) قال: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) أَحْسَنَ

(١) الشوكاني، فتح القدير، ٥٧٣/١، أبو زهرة، مرجع سابق، ٣٣١٠/٦.

(٢) سورة الشعراء: آية ٩٤، وينظر تفسير هذه الآية الكريمة في ص ٢٧ من هذا البحث.

(٣) سورة الأحزاب: آية ٣٩، وينظر تفسير هذه الآية الكريمة في ص ٢٦ من هذا البحث.

(٤) أخرجه أحمد في مسنده: مسند العشرة المبشرين بالجنة، مسند علي بن أبي طالب،

ح ٦٦٥، (١/ ٨٦)، وقال الأرنؤوط: إسناده صحيح ورجاله ثقات، وابن أبي شيبة في

مصنفه: كتاب السير، باب: ما قالوا في الجبن والشجاعة، ح ٣٣٢٨١.

النَّاسِ، وَأَجُودَ النَّاسِ، وَأَشْجَعَ النَّاسِ، قَالَ: وَقَدْ فَرَعَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ لَيْلَةً، سَمِعُوا صَوْتًا، قَالَ: فَتَلَقَّاهُمُ النَّبِيُّ (ﷺ) عَلَى فَرَسٍ لِأَبِي طَلْحَةَ عُرْيٍ، وَهُوَ مُتَقَلِّدٌ سَيْفَهُ، فَقَالَ: لَنْ تَرَاعُوا لَنْ تَرَاعُوا»^(١)، وحين اشتدَّ الموقف وفرَّ الأبطال يوم حنين وقف (ﷺ) على بغلته والناس يَفْرُونَ عنه، وأبو سفيان بن الحارث أخذ بزمامها، وهو يقول - صلوات ربي وسلامه عليه-: «أنا النبي لا كَذِب، أنا ابن عبدالمطلب»^(٢).

أقول: إذا كانت آيات القرآن الكريم لم تسجل لنا سوى - سوى ما أسلفناه - مما يدل على شجاعته (ﷺ)؛ فإن السنة النبوية المطهرة، والتي يمكن أن نصفها بأنها التطبيق العملي للقرآن^(٣) قد تكفلت بذلك؛ ففيها:

نجده (ﷺ) يغرس الشجاعة في نفوس أتباعه، حين علمهم الاستعاذة من ضدها ولازم ذلك الضد، أعني «الجبن والبخل»؛ فقال (ﷺ): «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْجُبْنِ وَالْبُخْلِ»^(٤)، وقد أسلفنا أن من بخل بماله لا وجود بنفسه.

كما نجده (ﷺ) يعلم أتباعه الشجاعة بنوعيتها الأدبي والحربي؛ ففي الأدبية قال (ﷺ): «أَفْضَلُ الْجِهَادِ كَلِمَةُ عَدْلٍ عِنْدَ سُلْطَانٍ جَائِرٍ»^(٥)، وفي الشجاعة

(١) صحيح البخاري: كتاب الجهاد والسير، باب: إذا فزعوا بالليل، ح ٣٠٤٠.

(٢) القصة بتمامها عند البخاري في صحيحه، كتاب: الجهاد والسير، باب: من قاد دابة غيره في الحرب، ح ٢٨٦٤.

(٣) وكيف لا تكون تطبيقاً عملياً للقرآن، وهو صلوات ربي وسلامه عليه كان قرآنا يمشي على الأرض، أو كما أخبرت عنه أم المؤمنين عائشة (رضي الله عنها) لما سألتها سعد بن هشام بن عامر عن خلق رسول الله (ﷺ)؛ فقالت: «كان خلقه القرآن، والحديث بتمامه في: مسند أحمد، مسند عائشة (رضي الله عنها)، ح ٢٥٢٤٠.

(٤) صحيح البخاري، كتاب الدعوات، باب الاستعاذة من الجبن والكسل، ح ٦٠٠٨.

(٥) سنن أبي داود، كتاب الملاحم، باب الأمر والنهي، ح ٤٣٤٤، وصححه الألبان، السلسلة الصحيحة (٤٩١).

الحربية قال (ﷺ): «لَعْدُوَّةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ رَوْحَةٌ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا»^(١)، وغير ذلك كثير مما حفلت به السنة المطهرة؛ بيد أن قصد الإيجاز - الذي التزمه الباحث في هذا البحث - جعله يكتفي بما أورده من روايات تفهم المقصود والله تعالى أسأل التوفيق والقبول.

ونوح (ﷺ) أول المرسلين: لما دعا قومه إلى عبادة الله تعالى وحده، وخوفهم عذاب الله الأبدي والشقاء السرمدى إن لم يطيعوه، مبتدئاً في مخاطبتهم بما يقربهم ويدنيههم منه؛ فذكرهم أنه قطعة منهم، يضره ما يضرهم، ويؤلمه ما يؤلمهم؛ قائلاً لهم: ﴿يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾^(٢) فرد عليه الرؤساء والأغنياء المتبوعين ذوي النفوذ من قومه، المعبر عنهم في القرآن بـ ﴿الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ﴾ أقبح رد؛ حين زعموا أن الضلال قد تمكن منه قائلين له: ﴿إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾^(٣) فنفي (ﷺ) عن نفسه أن يكون الضلال قد تلبس به بأي حال تضله عن الحق أو الرشد، وأنه في كامل رشد؛ بل إنه فوق ذلك هاد للخلق يدلهم على الحق؛ وأنه رسول أرسله الله تعالى إليهم رحمة بهم، وإنقاذاً لهم من ضلالهم، وقد ساق إليهم كل ذلك في تلطف وأناة قائلاً: ﴿يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾^(٤) ثم آيسهم من متابعتة إياهم، أو السكوت على ضلالهم، على كثرة عددهم وقلة من آمن به،

(١) صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب الغدوة والروحة في سبيل الله، ح ٢٦٣٩.

(٢) سورة الأعراف: آية ٥٩.

(٣) سورة الأعراف: آية ٦٠.

(٤) سورة الأعراف: آية ٦١.

بقوله: ﴿أَبْلَغُكُمْ رَسُولَاتِ رَبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾^(١) يعني: أني غير تارك التبليغ بأي حال من أجليذبيكم^(٢).

وإبراهيم (عليه السلام): لما جادله قومه في توحيد ربه، وناظروه في ذلك بشبه باطلة؛ أنكر عليهم مجادلتهم له في أمر الله، وهو الذي قد بصره الله وهداه إلى الحق؛ حتى صار على بينة من ربه؛ فكيف يلتفت إلى أقوالهم الفاسدة وشبههم الباطلة؛ ثم أخبرهم أنه لا يخاف آلهتهم التي يعبدونها؛ وتحداهم أن يعاجلوه أو يضرروه بشيء من صنع آلهتهم تلك إن كانت تؤثر شيئاً، أو تملك ضرراً أو نفعاً؛ وجعل هذه الحجة من جملة أدلة بطلان عبادتهم لما لا يملك ضرراً ولا نفعاً؛ وأن الضار والنافع هو ربه وخالقه وحده سبحانه^(٣)؛ فقال: ﴿أَتَحَاجُّونِي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾^(٤)، ثم استأنف منكراً وقوع الخوف منه (عليه السلام) ونفيه عنه بالكلية؛ فقال: ﴿وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾^(٥)، يعني: كيف أخاف معبوداتكم الباطلة العاجزة عن الضر والنفع، ولا تخافون أنتم الله (ﷻ) وقد أشركتم به في ربوبيته ما لم ينزل به عليكم حجة ولا برهاناً، إلا اتباع أهوائكم الفاسدة^(٦).

(١) سورة الأعراف: آية ٦٢.

(٢) ابن عاشور، مرجع سابق، ١٩٢/٩، أبو زهرة، مرجع سابق، ٢٥٦٦/٥، السعدي، مرجع سابق، ٥٥٤/٣.

(٣) ينظر: ابن كثير، مرجع سابق، ٢٩٥/٣.

(٤) سورة الأنعام: آية ٨٠.

(٥) سورة الأنعام: آية ٨١.

(٦) السعدي، مرجع سابق، ٤٨٧/٢، أبو السعود، مرجع سابق، ١٥٥/٣، ابن عطية، المحرر الوجيز، ٤٠٧/٣.

ثم انظر إلى الشجاعة في أسمى معانيها، وأتم صورها، وإبراهيم (عليه السلام) ينكر على قومه - في مشهد آخر - عبادتهم تلك الأصنام التي نحتوها بأيديهم؛ وكأنه يقول لهم أين عقولكم حتى تذهبوا أوقاتكم في الإقامة على عبادة أحجار لا تضر ولا تنفع؛ قائلا: ﴿ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ ﴾^(١) فلما لم يكن لهم حجة في صنيعهم هذا أجابوا جواب العاجز الذي لا يملك حجة ﴿ قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ ﴾^(٢)؛ فسلطنا سبيلهم وتبعناهم على عبادتها؛ فبين لهم أنهم هم وآباؤهم الذين احتجوا بصنيعهم في الضلال سواء قائلًا لهم: ﴿ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾^(٣) فلما سفه أحلامهم، وضلل آباءهم، وحقر آلهتهم قالوا له مستغربين قوله، ومستعظمين تسفيهه لهم ﴿ أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِينَ ﴾^(٤) يعني: أقولك هذا حق وجد أم كلام لاعب مستهزئ لا يدري ما يقول؛ فبين لهم (عليه السلام) سفهمهم وقله عقولهم، ورد عليهم قائلا: ﴿ بَلْ رَبُّكُمْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَىٰ ذَلِكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴾^(٥) فجمع لهم في هذه الآية بين الدليل العقلي: الذي يدركه كل ذي عقل سليم من أن الله الخالق هو الأحق بالعبادة وحده دون سواه، والدليل السمعي: المتمثل في إخبار الأنبياء المعصومين عن الخطأ أو الكذب في البلاغ وشهادتهم أن الله تعالى وحده هو المعبود بحق وأن ما سواه باطل، وأي شهادة أعظم من شهادة خليل الرحمن (عليه السلام)^(٦).

(١) سورة الأنبياء: آية ٥٢.

(٢) سورة الأنبياء: آية ٥٣.

(٣) سورة الأنبياء: آية ٥٤.

(٤) سورة الأنبياء: آية ٥٥.

(٥) سورة الأنبياء: آية ٥٦.

(٦) ابن كثير، مرجع سابق، ٣٤٨/٥، السعدي، مرجع سابق، ١٠٧٣/٥.

وبعد أن بيّن لهم أن أصنامهم لا تملك ضرًا ولا نفعًا، أراد أن يريهم عجزها بالفعل؛ ليقروا بذلك؛ فأضاف قائلاً: ﴿وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ﴾^(١) أي أكسرها على وجه الكيد بعد أن تتصرفوا عنها، وهذا ما فعله (عليه السلام) كما حكى عنه ربنا سبحانه: ﴿فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ﴾^(٢) أي: إنه هشم أصنامهم وكسرها؛ إلا صنما كبيراً من أصنامهم لم يكسره وعلق الفأس عليه؛ ليقيم بذلك الحجة عليهم^(٣).

ثم انظر إلى صورة أخرى من صور شجاعته (عليه السلام) وهو يوبخ قومه معلنا شركهم على رؤوس الأشهاد- وذلك بعد أن أقام الحجة عليهم- ومبيناً عدم استحقاق آلهتهم للعبادة قائلاً: ﴿أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ﴾^(٤) أف لَكُمْ وَلَمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ^(٥)، أي: ما أضلكم وأخسر صفقتكم، وما أخسكم أنتم وما تعبدون من دون الله، ولو كان عندكم أدنى مسكة من عقل لعرفتم وأدركتم ما أنتم عليه من الضلال، لكنكم لما عدتم العقل وقعتم في شرككم وضلالكم، وصارت البهائم أحسن حالا منكم^(٥).

أقول: إن الحوار القرآني السابق بين إبراهيم (عليه السلام) وقومه يبرز لنا إبراهيم (عليه السلام) وكأن الشجاعة التي حشي بها قلبه قد فاضت على جوارحه كلها فاكتمى بثوب من الشجاعة أبرزته في صورة «بطل التوحيد الذي صدع بالحق الذي أمره به ربه، وتصدى لأقوى سلطة بشرية على وجه الأرض في تلك الفترة، دون أن

(١) سورة الأنبياء: آية ٥٧.

(٢) سورة الأنبياء: آية ٥٨.

(٣) القرطبي، مرجع سابق، ٢٠٥/١١.

(٤) سورة الأنبياء: آية ٦٦، ٦٧.

(٥) السعدي، مرجع سابق، ١٠٧٤/٥.

يكون له ظهير أو ناصر من قومه، في مقابل كثرة الأعداء الغاضبين والذين كانوا يمثلون خطراً عليه»^(١).

وهود (عليه السلام): لما دعا قومه إلى عبادة الله تعالى وحده، وأنه سبحانه هو الأحق بالعبادة دون أصنامهم المزعومة الباطلة، وأخبرهم أنهم قد افتروا على الله الكذب في عبادتهم لغيره سبحانه، ثم بين لهم عدم المانع من انقيادهم لما يدعوهم إليه من الخير والرشد، وهو أنه لا يسألهم أجراً ولا مالاً على ما يقدمهم لهم من نصح ولا ما يدعوهم إليه من خير؛ وأن أجره على ربه وحده سبحانه، وأرشدهم إلى الاستغفار والتوبة، ورغبهم في الإيمان بما يحصل لهم بسببه في دنياهم من خير عاجل؛ وأنهم إن فعلوا ما يأمرهم به من الإيمان والإنابة والتوبة والاستغفار في مستقبل أيامهم؛ فإن الله تعالى الأحق بالعبادة وحده والمالك لكل ما في الكون وكل من فيه سينزل المطر ويرسله بكثرة إليهم فتجود بساتينهم وزرعهم - وقد كانوا أصحاب بساتين وزروع وعمارة - مما يزيدهم خصبا إلى خصبهم، وعزا إلى عزهم، وحذرهم من التولي والإعراض عما دعوا إليه من الخير، والإقامة والإصرار على الإجرام والكفر؛ فأجابوه بما يدل على فرط جهالتهم، وعظيم غباوتهم، وفرط عنادهم وبعدهم عن الحق؛ فلم يلتفتوا إلى ما جاءهم به نبي الله من حجج وبراهين، وزعموا أنه (عليه السلام) لم يأتهم بحجة واضحة تحملهم على الإيمان بما يدعوهم إليه، وأنهم لذلك سيظلوا عاكفين على آلهتهم التي يعبدونها من دون الله، وأنهم لا يصدقون شيئاً مما جاء به هود (عليه السلام) فهو في نظرهم شخص أصابته آلهتهم بجنون؛ نشأ عنه ما يهذي به ويقول له؛ فأجابهم (عليه السلام) بما يدل على عدم مبالاته بهم، وعلى ثقته بربه وتوكله عليه سبحانه، وأنهم لا يقدرّون على شيء مما يريدونه به، وأن ربه سبحانه هو الضار النافع، ثم جاهرهم في شجاعة

(١) الشيرازي، مرجع سابق، ص ٢١٠.

منقطعة النظير على كثرة عددهم وقوتهم قائلًا: ﴿إِنِّي أَشْهَدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٥٦﴾ مِنْ دُونِهِ﴾ أي من دون الله من غير أن ينزل به عليكم سلطانا، ثم أمعن في تحديهم قائلًا ﴿فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنْظِرُون﴾ أي اطلبوا لي الضرر أنتم وآلهتكم التي تعبدونها بكل طريق تتمكنون بها مني إن كانت آلهتكم قادرة على الإضرار بي وأنها اعترتني بسوء كما تزعمون، ولا تمهلوني، بل عاجلوني واصنعوا ما بدا لكم، وفي هذا من إظهار عدم المبالاة بهم وبأصنامهم التي يعبدونها ما يصك مسامعهم، ويوضح عجزهم وعدم قدرتهم على شيء، ثم أردف بما يفهمهم سر عدم مبالاته بمكرهم وكيدهم وهو أنه يعتمد في أموره كلها على الله رب العالمين خالق الخلق ومالك الملك ومدبر أمر الخلائق، فربه سبحانه لا تتحرك دابة ولا تسكن إلا بإذنه، وأنهم لو اجتمعوا جميعاً على أن ينزلوا به سوء فلن يناله منهم إلا ما أراد ربه وربهم، وهو الذي يعصمه من كيدهم، وإن بلغوا في تطلب وجوه الإضرار به كل مبلغ، فمن توكل على الله كفاه، ولأن ربه سبحانه هو الحق العدل فلن يسلطهم عليه^(١)؛ هذه المعاني كلها لخصتها ست آيات من سورة هود بأوجز بيان وأوضحه، إذ يقول ربنا (سجدة): ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرُهُ إِنِّي أَنْتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ (٥٠) يَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنِّي أَجْرِي إِلَّا عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي أَفَلَا تَعْقِلُونَ (٥١) وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ ثَابِعُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ (٥٢) قَالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَنْ قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ (٥٣) إِن نُّقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ قَالَ إِنِّي أَشْهَدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ (٥٤) مِنْ دُونِهِ فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنْظِرُون (٥٥) إِنِّي

(١) الشوكاني، مرجع سابق، ٦٦٢/١، السعدي، مرجع سابق، ٧٥٤/٣ "بتصرف وتلخيص"

تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (٥٦) ﴿١﴾؛ فسبحان من هذا كلامه.

وشعيب (عليه السلام): لما استعمل قومه معه القوة الجسدية، وهددوه وتوعده بآجلاته عن قريته وموطنه إن لم يتابعهم ويرجع هو ومن آمنوا به إلى دينهم ودين آبائهم، فقالوا غير مراعين ذمة ولا رحما: ﴿لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُوذُنَّ فِي مِلَّتِنَا﴾ (٢) فواجه شعيب (عليه السلام) ما استعرضه من قوة جسدية بشجاعته الأدبية، وصدع بالحق في شجاعة الواثق بربه سبحانه، الراض ما يقوله أولئك الطواغيت المستكبرون، ووبخهم قائلاً لهم: ﴿أَوَلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ (٨٨) قَدْ افْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ بَعْدَ إِذْ نَجَّانَا اللَّهُ مِنْهَا وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبُّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ﴾ (٣) يعني إن ما نتوعدونا به من الإخراج على الرغم منا، أو أن تعيدونا في ملتكم الباطلة ونحن كارهون لذلك كله يناقض الحق والحرية؛ فاشهدوا علينا أننا إن عدنا إلى ملتكم الباطلة بعد ما نجانا الله منها وأنقذنا من شرها أننا كاذبون مفترون على الله الكذب، لأننا نعلم أنه لا أعظم افتراء ممن جعل الله شريكاً، وهو سبحانه الواحد الأحد الفرد الصمد، الذي لم يتخذ صاحبة ولا ولداً، ولا شريكاً في الملك، ثم آيسهم (عليه السلام) من موافقتهم بأي وجه من الوجوه، فقال إنه من المحال على مثلنا أن يعود لمثل ملتكم، فإننا لها كارهون ولما أنتم عليه من الشرك مبغضون، وأنا إن اتبعناكم على هذا الضلال سنكون كاذبين ملتكم، ثم اعترف بمنة الله عليهم إذ أنقذهم من هذه الملة الباطلة،

(١) سورة هود: الآيات ٥١-٥٦.

(٢) سورة الأعراف: آية ٨٧.

(٣) سورة الأعراف: آية ٨٨-٨٩.